مكتبات هادفة

مظاهر تكريم الإنسان في القرآن الكريم

أ. د. الشاهد البوشيخي

السلسلة القرآنية

5

الحديث عن تكريم القرآن للإنسان هو حديث عن موقع الإنسان في هذا الكون، هو حديث عن أصل الإنسان، هو حديث عن منهج تكريم الإنسان.

الحديث عن تكريم الله عز وجل حديث عن ربنا الكريم وكيف أفاض من كرمه على هذا الإنسان فجعله مكرما، مكرم الأصل، ومكرم الفرع، فقال عز وجل: ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ سورة الإسراء: 70.

الثمن: 5 دراهم

مطبعة آنفو-برانت
Imp.Info-Print
Tél: 05.35.64.17.26 - Fès
Fax: 05.35.65.72.47

مكتبات هادفة

السلسلة القرآنية

5

مظاهر تكريم الإنسان في القرآن الكريم

أ. د. الشاهد البوشيخي

مظاهر تكريم الإنسان في القرآن الكريم

محاضرة ألقاها: الدكتور الشاهد البوشيخي

رقم الإيداع القانوني: 2009 MO 2220

جميع حقوق الطبع محفوظة

طبع وتصميم: مطبعة أنفو - برانت، 12، شارع القادسية - الليدو - فاس.
الهاتف: 05.35.64.17.26 / 06.61.20.16.41 / الفاكس: 05.35.65.72.47
البريد الإلكتروني: infoprintfes@gmail.com
Site Web: http://infoprint.awardspace.com

بسم الله الرحمن الرحيم

① الحمد لله رب العلمين ②
الرحمن الرحيم ③ ملك يوم الدين
④ إياك نعبد وإياك نستعين ⑤
اهدنا الصراط المستقيم ⑥ صراط
الذين أنعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين ⑦

سورة الفاتحة

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ
وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ
خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾

الإسراء 70

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

هذه السلسلة

هذه السلسلة — لقرآنيتها — هي السلسلة الذهبية، وهي واحدة من سلاسل متعددة من المحاضرات والكلمات، ألقيت في مناسبات مختلفة وأوقات متباعدة، يجمع بينها أنها أخرجها من الأشرطة إلى الورق كرام بررة، حسبوا، حسن ظن منهم، أن فيها فوائد تستحق النشر والتعميم، فحثوا على

الإسراع بالجمع والطبع، وبادروا إلى الإخراج والتصفيف والإعداد للطبع.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك فيها وفيهم وفي كل المومنين، ويجعلها بمحض فضله كما ظنوا أو فوق ما ظنوا، ويجزيهم، ويجزي كل ساع في الخير ودال عليه، الجزاء الأوفى.

والحمد لله رب العالمين

مقدمة

في مفهوم تكريم الله عز وجل للإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم كل شيء منك، وكل شيء بك، وكل شيء إليك.

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب،

ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير.

الحمد لله الذي كرم الإنسان، الحمد لله الكريم رب العرش الكريم، منزل الكتاب الكريم على الرسول الكريم، الحمد لله ذي الجلال والإكرام، الحمد لله الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، اللهم إنا نسألك بكرمك أن تبارك لنا في مجلسنا هذا، اللهم اجعله مجلسا تغشاه الرحمة وتتنزل فيه السكينة وتحف به الملائكة ويذكر من فيه عندك يا رب يا ذا الجلال والإكرام.

أيها الإخوة المكرمون بفضل الله:

الحديث عن تكريم القرآن للإنسان هو حديث عن موقع الإنسان في هذا الكون، هو حديث عن أصل الإنسان، هو حديث عن منهج تكريم الإنسان.

الحديث عن تكريم الله عز وجل حديث عن ربنا الكريم وكيف أفاض من كرمه على هذا الإنسان فجعله مكرما، مكرم الأصل، ومكرم الفرع، فقال عز وجل: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ سورة الاسراء: 70.

الكرم **أيها الاخوة** جماع الخير كله، فالكرم ليس هو الجود كما هو شائع في لغتنا اليوم، ولكن الكرم ضد اللؤم، الكرم جماع الصفات الحميدة كلها، والكريم هو المتصف بتلك المحامد اتصافا يجعلها ظاهرة فيه ظهورا جليا، هكذا يحدد أهل اللغة الكرم. والكريم بسبب ذلك هو ضد اللئيم، وليس ضد البخيل كما هو شائع؛ وإكرام الله عز وجل لعباده من الملائكة أو من الناس هو إنعام عظيم من وجوه لا عدّ لها ولا حصر على هذه الكائنات، والتكريم جعل الشيء المكرم كريما في ذاته ليس منعما عليه إنعاما عاما بصفة

من الصفات، أو بمجموع من الصفات، ولكنه جعله في حد ذاته كريما، أي نفيسا، فكل شيء شُرف في بابه فقد كُرم، والتكريم جعل الشيء كريما فعلا، والله عز وجل حين قال: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ الإسراء70 خاطب الإنسانية بتعبير اليوم، وبني آدم بتعبير القرآن، أفاد أمرين: أفاد تكريما لهؤلاء الذين تناسلوا من آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، ذكورا كانوا أم إناثا، وأفاد أن من تكريمهم أيضا أنهم قد تناسلوا من آدم، وآدم قد كرم قبل في الانطلاق، في انطلاق الإنسانية منه، وذلك ما جاء على لسان

إبليس نعوذ بالله منه حين قال: ﴿ أرايتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا﴾ سورة الاسراء:62. هذا الذي كرمت علي إشارة إلى آدم عليه السلام حين أمر الله عز وجل الملائكة أن يسجدوا له. فآدم بنص هذه الآية قد كرم أيضا، وبنص الآية الثانية كُرمت ذريته، ومن تكريم ذريته إشعارهم وتذكيرهم بأنهم أبناء آدم.

فما هي مظاهر تكريم آدم عليه السلام ؟ إذ كل تكريم في الأصل الذي منه كان المنطلق هو تكريم لجميع ما تناسل من هذا الأصل.

الفصل الأول:

مظاهر تكريم الله عز وجل لآدم

1ـ خلق الله عز وجل له بيده

آدم عليه السلام قال الله عز وجل فيه مخاطبا إبليس: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ سورة ص: 75، فأول تكريم لآدم أن خلقه الله بيده، وهذا فيه تنبيه على أن هذا الخلق ليس خلقا عاديا من قبيل كن فيكون، ولكنه خلق له خصوصية، هي أن الله باشره بيده، فهذا تنويه بنفاسة هذا الإنسان وهذا المخلوق.

2ـ تسوية فطرته

ثم إن الله عز وجل بعد ذلك قال: ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك﴾ سورة الانفطار: 6 ﴿إني خالق بشرا من طين فإذا سويته﴾ سورة ص:71، هذه التسوية ترشد إليها آية أخرى بعبارة أخرى توضح معنى هذه التسوية حين يقول الله عز وجل: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ سورة التين:4، هذه هي التسوية والتعديل الأول، والتسوية والتعديل اللاحق يكون في كل مخلوق بعد، إذ يفطر الناس جميعا على الفطرة الأولى: ﴿فأقم وجهك

للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾ سورة الروم:30، هذه التسوية أيضا مظهر من مظاهر التكريم لآدم عليه السلام.

3ـ النفخ فيه من روح الله

ثم بعد ذلك الله عز وجل نفخ في هذا المخلوق من روحه ﴿إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾ سورة ص:72، ففي هذا الإنسان في الأصل الأول شيء من روح الله عز وجل، به سيصلح بعد لتلقي هذه المهمة الكبيرة التي أنيطت بالإنسان، مهمة الخلافة، به سيصلح بعد أن

يكون عابدا لله عز وجل، به سيصلح بعد لتلقي الهدى النازل من عند الله عز وجل، الذي هو أيضا من جنس ما نفخ في آدم عليه السلام، أي إنه أيضا من روح الله كما قال الله عز وجل: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ سورة الشورى:52، فهذا القرآن وكل الهدى النازل من عند الله عز وجل، هو من جنس ما نفخ في آدم عليه السلام؛ وبهذا النازل يقع الالتحام مع هذا القسم في الإنسان، فيكرم الإنسان ويشرف ويسمو. إذن هذا النفخ من

روح الله عز وجل فيه، هو من مظاهر تكريم آدم عليه السلام.

4- إسجاد الملائكة له (سجود تكريم)

ثم بعد ذلك أمر الله عز وجل ملائكته وهم عباد مكرمون، عباد منعم عليهم، هم عباد حصل لهم هذا الكرم وهذه النفاسة في العنصر، وهذا السمو والشرف في الخلقة والكينونة، هؤلاء أُمروا بأن يسجدوا لآدم عليه السلام، وهذا أيضا مظهر من مظاهر تكريم هذا المخلوق، وهذا مظهر كريم فيه إشعار بأن جميع هؤلاء الملائكة، وهم جنود مجندون للقيام بوظائف لا عد لها ولا حصر في ملك

الله، بأنهم سيخدمون هذا الكون الذي هو أيضا خادم لهذا الإنسان، ليعبد هذا الإنسان الله عز وجل. هذا الإسجاد أيضا مظهر من مظاهر تكريم الله عز وجل لآدم عليه السلام.

5ـ تأهيله بالعلم الضروري للخلافة

ثم من بعد ذلك هذا التعليم للأسماء كلها وهو مناط الخلافة، فالملائكة حين أخبرهم الله عز وجل قبل خلق آدم بأنه جاعل في الأرض خليفة قالوا مستغربين: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم

على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ البقرة: 33، فهذا التعليم لآدم هو محض موهبة وفضل من الله عز وجل منّ به على أبينا الأول آدم عليه السلام الذي هو أصل البشرية ذكورا وإناثا، ثم من بعده كان إشعار بهاته النعمة نفسها على آخر صفوة خلقه كذلك محمد ﷺ حين قال له: ﴿اقرأ وربك الأكرم الذي علم

بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾ العلق3، هذا جاء بعد صفة الأكرم نفسها التي منها صدر التكريم لهذا الإنسان، ومظهر هذا التكريم الأول هنا هو التعليم، تعليم الإنسان ما لم يعلم، وهذا التعليم هو الذي ميز الله به آدم عليه السلام عن ما سواه بأن أودع فيه القابلية للتعلم، وهذا يعني منة أخرى أنه جعل له فؤادا أو قلبا أو عقلا يستقبل به هاته المعلومات ويحصل له به التعلم، ﴿قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ الملك:23.

هاته المصادر التي تدخل المعلومات إلى هذا القلب وهذا العقل الذي يستقبل، به تعلم هذا الإنسان وبه حصلت له منة أخرى.

6ـ منحه الحرية والاختيار الضروريين لتحمل المسؤولية

ومظهر آخر من مظاهر التكريم هو أنه مُنح الحرية والاختيار، ومع الحرية والاختيار تكون طبعا المسؤولية؛ وهذا أيضا كان بالنسبة لآدم في اللحظة الأولى حين قال له ولزوجه ﴿فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة﴾ الأعراف:19، هذا أمر، وهذا نهي: لكما الحرية كل الحرية ولكما الاختيار

التام بأن تفعلا هذا أو هذا، لكن إذا حدث هذا فلا إشكال ولكما الأجر؛ وإذا حدث هذا فهناك إشكال ولكما الوزر، فتنبني على الحرية دائما المسؤولية، وعلى المسؤولية الثواب أو العقاب، فهذا أيضا من مظهر تكريم الله عز وجل لهذا الإنسان، أنه منحه عقلا به هو حر يختار، عقل مميز، يميز به بين الصالح والطالح، بين ما ينفع وما يضر، بين الطيبات وبين الخبائث، وأصدر له الأمر على ضوء ذلك، عكس الملائكة الذين هم مسخرون لما هم مسخرون له، وعكس الشياطين الذين هم مصدودون عن الطاعة، ولا يعرفون إلا المعصية، هذا الإنسان

كان مسؤولا عن الحرية التي أعطيت له، وذلك من تكريم الله عز وجل أيضا .

7ـ تعليمه خريقة إصلاح خطئه إذا أخطأ

ثم إن من مظاهر التكريم المرتبطة بهذه الحقيقة نفسها هو أن الله علم هذا الإنسان كيف يصلح خطأه إذا أخطأ، علمه كيف يعود إليه مكرما إذا أهان نفسه بالخطأ، علمه كيف يمحو السيئة بالحسنة.

﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ البقرة:37، هي كلمات الاستغفار، وصارت هذه دائمة في بنيه مستمرة.

التام بأن تفعلا هذا أو هذا، لكن إذا حدث هذا فلا إشكال ولكما الأجر؛ وإذا حدث هذا فهناك إشكال ولكما الوزر، فتنبني على الحرية دائما المسؤولية، وعلى المسؤولية الثواب أو العقاب، فهذا أيضا من مظهر تكريم الله عز وجل لهذا الإنسان، أنه منحه عقلا به هو حر يختار، عقل مميز، يميز به بين الصالح والطالح، بين ما ينفع وما يضر، بين الطيبات وبين الخبائث، وأصدر له الأمر على ضوء ذلك، عكس الملائكة الذين هم مسخرون لما هم مسخرون له، وعكس الشياطين الذين هم مصدودون عن الطاعة، ولا يعرفون إلا المعصية، هذا الإنسان

كان مسؤولا عن الحرية التي أعطيت له، وذلك من تكريم الله عز وجل أيضا.

7ـ تعليمه طريقة إصلاح خطئه إذا أخطأ

ثم إن من مظاهر التكريم المرتبطة بهذه الحقيقة نفسها هو أن الله علم هذا الإنسان كيف يصلح خطأه إذا أخطأ، علمه كيف يعود إليه مكرما إذا أهان نفسه بالخطأ، علمه كيف يمحو السيئة بالحسنة.

﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ البقرة:37، هي كلمات الاستغفار، وصارت هذه دائمة في بنيه مستمرة.

﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ الانفال:33.

8. استخلافه في الأرض

بعد ذلك كانت هاته المنحة الكبيرة التي من أجلها خلق آدم هي منحة الخلافة، هي منة الخلافة؛ بعد كل هذا وبعد هذا التدريب في هاته الصور استخلف آدم في الأرض؛ إذ في الأمر الأول قال الله عز وجل للملائكة: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ البقرة:30، وكل ما سبق ذلك من صور التكريم الأولى ومن التداريب التي أجريت

عليه في مرحلة الجنة، كل ذلك تحضير للمنة الكبرى التي هي الخلافة، التي من أجلها خلق آدم ومن أجلها كان ما كان من بعده من ذريته؛ فهذا أيضا من تكريم الله عز وجل له؛

وما معنى هاته الخلافة؟

معناها أن هذا الإنسان في موقع النيابة عن الله عز وجل؟ ولكن لا ينوب أحد عن الله عز وجل. فالله عز وجل وضع هذا الإنسان في موقع أعطاه فيه الحرية والاختيار وزوده باللوازم الضرورية للقيام بالمهمة وجعله في الأرض وسخر له كل ما سواه، هذا لا يظهر

في التكريم الأول لآدم عليه السلام ظهورا واضحا، ولكنه سيظهر بعد في مظاهر تكريم ذريته من بعده.

فإذن مظاهر تكريم الله عز وجل لآدم عليه السلام كثيرة ومتنوعة، وهي تجعله في موقع علي جدا وحسبنا أنه في موقع الخليفة وأنه حين أهبط إلى الأرض واستخلف فيها زُود بالهدى بالاجتباء ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ طه:122، فحصلت له هاته الهداية التي جعلت لا يصدر منه إلا ما ينسجم مع تكريم الله عز وجل. وهاته الهداية ستستمر قانونا عاما في ذريته من بعده.

الفصل الثاني:

مظاهر تكريم الله عز وجل لـ"بني آدم" بعد آدم عليه السلام

1ـتكريم بني آدم تكريم لكل عباد الله الصالحين

فهذا التكريم لهذا الإنسان الأول الذي هو آدم عليه السلام ستصبح الإشارة إليه في حد ذاتها مظهرا من مظاهر تكريم بني آدم، أي إن الله عز وجل حين قال: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ ولم يقل ولقد كرمنا الناس أو البشر أو الإنسان ولكن قال بني آدم فذلك إشعار لهم بأنهم أبناء ذلك المخلوق الأول ذي النعم

المذكورة في قصة آدم عليه السلام ذي الموقع الذي هو موقع النبوة والرسالة، موقع الراشد المهدي، موقع العبد الصالح المصلح، موقع الإنسان الراشد السيد وسط كائنات متعددة متنوعة كلها جُعلت خادمة له وخُلقت من أجله، وخُلق هو لشيء آخر هو العبادة، فهاته الإشارة: بني آدم في حد ذاتها تكريم للإنسان خصوصا في زماننا هذا، حيث أرجع من أرجع أصل الإنسان إلى القرد... أرجعهم إلى كائنات هي في الأصل خادمة للإنسان وخلقت مسخرة له.

فمن امتهان الإنسان وإهانته أن يُجعل خادما لغير الله عز وجل. ومن تكريم هذا الإنسان ألا يجعل عبدا إلا لله عز وجل.

فما هي مظاهر تكريم بني آدم بعد آدم عليه السلام؟

أ- خلق مخلوقات الأرض لـ"بني آدم"

مما نص عليه القرآن الكريم في مواضع كثيرة أن هذا الخلق كله لاسيما مخلوقات الأرض، ما خلقت إلا لبني آدم ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ البقرة:29

ب- تسخير ما في السموات وما في الأرض لـ"بني آدم"

ثم من تكريم الله عز وجل لبني آدم أنه سخر لهم ما في السماوات وما في الأرض ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض﴾ لقمان:20، هذا التسخير فيه ما يدخل ضمن الإرادة البشرية، بمعنى أننا نكتشف سننه ونكتشف مفاتيح تسخيره، فهو داخل في قوله تعالى ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ فصلت:53، وفيه هو فعلا ما يمدنا بعطاء مستمر دائم لا حد له ولا حصر، لا نملك حتى القدرة الإحصائية له، وقد أشار الله تعالى في آيات متعددة أنه سخر لنا الشمس

والقمر، وسخر لنا الليل والنهار، والبحر، والفلك، والأنعام... وما لا نعلم ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ النحل:18، فالله عز وجل سخر لنا كل شيء، وذلك لنشعر نحن بجليل نعمة الله عز وجل علينا، فنشكر المنعم الكريم، ونتجه إلى أن نعبده بكل ذلك الذي سخر لنا، ونحسن تسخير ذلك في عمارة أرضه وفي نفع عباده، فكما في الحديث (الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله)[1]، من الناس ومن غير الناس (في كل

---

[1] رواه الطبراني في الكبير والأوسط وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود مرفوعا.

ذي كبد رطبة أجر)[2]. فمنة التسخير إذن مظهر كذلك من مظاهر تكريم الله عز وجل لبني آدم، لأنها جعلت كل ما سواهم خدما لهم، يمكنهم أن يسخروه لمنفعة الإنسان فضلا عن أنه هو في واقعه مسخر لمنفعة الإنسان، ماذا يفعل هذا النبات غير أنه يمدنا بملايير الأطنان من الأوكسجين الذي لا نستطيع الحياة بدونه ؟ ماذا تفعل هذه الحيوانات خاصة الأنعام التي أحلها الله عز وجل لنا غير أنها تمدنا بأصوافها وأوبارها وأشعارها ولحومها وألبانها وكل ما جعل الله فيها ؟ هي

---

[2] المحلى بالآثار علي بن أحمد بن سعيد بن حزم. كتاب العتق وأمهات الأولاد، مسألة - 1673 ، ج 8، دار الفكر

جميعا في خدمتنا، ولا نملك شكر نعمة واحدة منها، لا نستطيع ذلك، كيف نملك شكر النعم — أيها الاخوة — ونحن لا نملك حتى إحصاءها ؟

نعمة التسخير إذن هي مظهر من مظاهر تكريم الله عز وجل كذلك لبني آدم.

ج-إنزال الهدى من الله تعالى لـ"بني آدم"

ومن هاته المظاهر التي أنعم الله عز وجل على أبناء آدم وكانت تكريما لهم، مظهر كبير عظيم، هو إنزال الهدى الرباني إليهم، هو تزويدهم بمنهج يحفظ لهم كرامتهم، هو تزويدهم بمنهج يحافظ على ذلك التكريم

الأول الذي لهم في الأصل أي آدم الذي منه تناسلوا، وعلى التكريم الأول الذي هو الفطرة التي خلقوا عليها. إذ من الولادة إلى البلوغ تعتري الإنسان حالات متعددة تؤثر فيه، حالات كسبية قد تطمس فطرته تماما، ذلك أن إبليس حين قال لله عز وجل: ﴿أرايتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا﴾ الإسراء62، منذ تلك اللحظة يئس من آدم خصوصا بعد الاجتباء، ولكنه قطع وعدا على أن يعترض ذريته من كل الوجوه ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم

من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾ الأعراف16، هم خلقوا حنفاء كما قال الله عز وجل في الحديث القدسي (خلقت عبادي حنفاء) رواه مسلم، أي على الفطرة المستقيمة كأبيهم آدم عليه السلام، ولكن إبليس هذا الذي لم يرض أن يكرم آدم عليه، قطع وعدا على أن يضل أبناء آدم، ويقعد لهم في الطريق نفسه، في الصراط، حتى إنه حذف الخافض فلم يقل: في صراطك المستقيم.

ونظرا لهذا الأصل الأول الذي يشير إليه قوله تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾ فاطر:6، هو عدو لكم في الأصل، من

لحظة الانطلاق، وقطع على نفسه أن يعاديكم باستمرار، لا يعرف كللا ولا مللا، وليست له وظيفة ولا مهمة غير هاته، فاتخذوه يا بني آدم عدوا.

أقول: إبليس وجنده وأتباعه من شياطين الإنس والجن يجتهدون على أبناء آدم في أن يخرجوهم عن الصراط المستقيم، أن يخرجوهم من النور إلى الظلمات ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ البقرة:257؛ عملية الإخراج هاته التي قد تأتي، تجعل الإنسان بعد أن يصير مسؤولا ويتأهل لحمل الأمانة، بعد أن يبلغ ويرشد، يواجه الأمانة مباشرة، في هاته المرحلة يأتيه الهدى، يأتيه المنهج الرباني الذي يرشده إلى الكيفية التي بها يعود إلى كرمه الأول، والتي بها يحافظ على تكريم الله عز وجل له، والتي بها يكرِّم سواه أي يعامله معاملة كريمة، هذا المنهج هو الرسالات كلها، من أجل هذا الأمر جاء الرسل وأنزلت الرسالات، بتعبير آخر: إن الله عز وجل من تكريمه لبني آدم أنه منحهم هدية منه رحمة بهم وتفضلا منه تعالى، هي المنهج إذا ساروا عليه ظلوا كرماء، كأبيهم آدم بعد أن اجتباه الله وهداه، وحافظوا على هذا الكرم،

وعاملوا بعضهم بعضا بما يناسب هذا الأصل الأول الذي هو التكريم. إذن فكل خروج عن منهج الله عز وجل فيه إهانة لهذا الإنسان، وفيه تدنيس له، لأن الكرم يضاده اللؤم، فالذي يخرج في تعامله فردا كان أو جماعة عن منهج الله عز وجل هو في الحقيقة يصير بذلك لئيما غير كريم، ويعامل الآخر معاملة لئيمة ليست كريمة، وبما أن ضد الكرم الإهانة ﴿ومن يهن الله فما له من مكرم﴾ الحج:18 ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمني﴾ الفجر: 15، فكل خروج عن منهج الله عز وجل،

فيه إهانة للنفس نفسها، وفيه إهانة للآخر: الإنسان المعامَل، ومخالفة للأصل الأول، ومخالفة لمقتضى الفطرة، ومخالفة لتكريم الله لآدم، ولتكريم الله لبني آدم.

فما هي الأسس الكبرى لهذا المنهج ؟

الفصل الثالث:

الأسس الكبرى للمنهج المكرِم لـ"بني آدم"

نكتفي بأمرين فقط، وهما مظهران كبيران لتكريم الله عز وجل للإنسان في المنهج النازل لهذا الإنسان:

الأمر الأول عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له:

أنه عز وجل طلب منه أن يعبده هو وحده لا شريك له، وجعل الهدف من خلقه هو هذا ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ الذاريات:56، وجعل شديد العقوبة بل أشد العقوبة على الإطلاق أن يعبد هذا الإنسان

غير الله ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ النساء :48، لم؟ لأن عبادة الإنسان لغير الله فيها إهانة عظمى لآدم الذي ننتسب إليه، والذي أُسْجِدَ له الملائكة، وجُعِلَ خليفة وسيدا على سواه، فيهينه هذا العابد لغير الله بعبادة شيء أدون من هذا الإنسان، فكأن الإنسان ينتكس تماما ويُدَسَّى ويُحَطُّ من قيمته، فبدل أن يتجه إلى فوق، بأن يكرم ويشرف يدنَّى ويتجه إلى تحت، لأنه يعطي العبادة للأقل منه، بدل أن يعطيها للأكبر منه الذي هو الله عز وجل، ومثل ذلك إذا أعطاها لمثله لماذا ؟ لأنه وضع الشيء

في غير موضعه، إذ من ميثاق الخلافة أن هذا الإنسان لا يعبد إلا الله وفق ما أنزل الله وهدى الله ﴿ فإما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ البقرة: 38، ﴿فإما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي

من أسرف ولم يومن بآيات ربه﴾ طه: 124، فأن يعبد غير الله كيفما كان هذا الغير هو وضع للشيء في غير موضعه وهو مخالف للتكريم، لأن أمره بعبادة الله عز وجل هو من تكريم الله عز وجل له، أن يتجه إلى الأعلى، إلى الله عز وجل، وحين يُنصِّب مخلوق ما نفسه في مقام المعبود كذلك يضع نفسه في غير الموضع الذي وضع فيه، وذلك أيضا خلاف التكريم لهذا الإنسان.

فإذن هاته النقطة التي هي عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له، وتعبيد الناس لله وحده لا شريك له، هي أكبر مظهر لتكريم

بني آدم وعكسها هو أكبر إهانة وتدنيس لهذا الإنسان، لأن في التكريم تزكية وتطهرا ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾ الفرقان:72، أي لم يتدنسوا بذلك اللغو وكانوا متطهرين.

إذن فكل وضع فيه غير وضع العبادة لله هو وضع فيه إهانة للإنسان، وهو مخالف لتكريم هذا الإنسان كيف ما كان هذا الوضع، ولذلك عبر الله عز وجل بقوله: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ والظلم في العربية هو وضع الشيء في غير موضعه. فلا يوجد خلل بدرجة هذا الخلل، فما خلق له أساسا الإنسان يتعطلُ ويُعكس تماما.

الأمر الثاني إقامة القسط بين الناس:

يتبع هذا وينتج عنه وله كذلك جاءت الرسالات كلها، وله نزل هذا الهدى من عند الله عز وجل، هو إقامة القسط بين الناس: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ الحديد25 ، فكل ما حدث قبلُ هو من أجل هذا الأمر، كل الرسل وكل الرسالات التي أرسلوا بها وكل الموازين التي جاءوا بها، الناس جميعا ينبغي أن يقوموا بالقسط؛ هذا القسط الذي تشير إليه هذه الآية هو الذي يحفظ لكل ذي حق حقه، أي هو الذي يجعل

الإنسان في نفسه يعامل نفسه بكرم، ويحافظ على تكريم نفسه كأصل خلقتها الأولى، وهو الذي يجعله حين يتجه بسلوكه نحو الآخر، كذلك يعامله بكرم. ومن هاهنا كانت كل النواهي تعني أن المنهي عنه فيه إهانة للإنسان، فيه إضرار بالإنسان، فيه خلاف تكريم هذا الإنسان، وكل الأوامر بعكس ذلك، فيها تكريم لهذا الإنسان، فيها فعل ما يجعله كريما وما يناسب كرمه، لأنها تجر إليه المنفعة، وتدرأ عنه المفسدة. فإذا كل الصفات الخبيثة وكل الأفعال القبيحة هي

في هذا الميزان إهانة للإنسان وليست إكراما له، فهي مناقضة لتكريم الإنسان.

خاتمة:

في حرمان أكثر بني آدم نعمة التكريم اليوم

وعلى ضوء هذا نستطيع القول بأن الإنسان اليوم في وضع لا يحسد عليه، الإنسان في العالم الإسلامي وفي غير العالم الإسلامي لا يحظى بهذا التكريم، لسبب بسيط واضح أنه لا يسير وفق هذا المنهج الذي هو وحده يضمن تكريم هذا الإنسان ويضمن معاملته بكرم، هو وحده الذي يقوم الناس فيه بالقسط، لأن من الذي يعرف القسط أولا؟ هل يستطيع الإنسان أن ينصب نفسه في موقع المشرِّع لهذا الإنسان؟ هل يستطيع الإنسان أن

ينصب نفسه في موقع يخطط فيه لهذا الإنسان بمعزل عن هدي الله لهذا الإنسان؟ كلا ثم كلا؛ هل يستطيع هذا الإنسان بمحض عقله فقط، وبمحض إمكاناته الشخصية التي ليس لها مدد من الله عز وجل الماثل في الرسالات وهي هنا في زماننا القرآن الكريم ؟ هل يستطيع الإنسان اليوم بغير القرآن أن يهتدي إلى طريقه السوي على جميع المستويات في المستوى الاقتصادي في المستوى السياسي، في المستوى التعليمي، في المستوى الإعلامي، في المستوى الحقوقي، في المستوى المادي، في المستوى الروحي... ؟ هل يستطيع الإنسان ذلك بمحض إنتاجه الشخصي معزولا عن الله، مستقلا عن هدى الله، مبتعدا عن منهج الله؟ هل يستطيع فعلا أن يرسم لبني آدم طريقة بها يعيشون مكرمين كما خلقهم الله عز وجل؟ كلا ثم كلا؛ إنه لا تكريم لهذا الإنسان بغير القرآن في الأرض كلها التي وُعد بوراثتها الصالحون ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ الانبياء: 105، وعباد الله الصالحون تشرحهم الآية بوضوح، الآية 9 من سورة العنكبوت: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين﴾ والإيمان

عنوان على كل ما يدخل إلى عقل ابن آدم من المعلومات التي مصدرها الوحي أساسا، وعمل الصالحات هو عنوان على كل ما يلزم لخلافة الله عز وجل في الأرض وفق شرع الله، وفق هدى الله، حسب ميزان الله، فلا صلاح لعمل إلا من بعد أن يأذن الله في هذا العمل ويرضى عنه.

ولذلك فإنا نسأل الله عز وجل أن يمن علينا في هذه الديار وفي غيرها بعودة صادقة خالصة إلى منهج الله عز وجل، إلى دين الله عز وجل، إلى القرآن الكريم الذي فيه وحده منهج التكريم الذي أرشد إليه ربنا الكريم، رب

العرش الكريم، منزل الكتاب الكريم: القرآن الكريم على الرسول الكريم.

فاللهم أكرمنا بهذا القرآن واجعلنا من المكرمين بالقرآن المكرمين لغيرنا بالقرآن، اللهم أكرمنا وأكرم بنا واجعلنا كراما مكرَمين مكرِمين والحمد لله رب العالمين وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين.

فهرس المحتويات

مقدمة في مفهوم تكريم الله عز وجل للإنسان.......... 7
الفصل الأول: مظاهر تكريم الله عز وجل لآدم.... 13
1- خلق الله عز وجل له بيده................ 13
2- تسوية فطرته.................. 14
3- النفخ فيه من روح الله............. 15
4- إسجاد الملائكة له (سجود تكريم) 17
5- تأهيله بالعلم الضروري للخلافة............ 18
6- منحه الحرية والاختيار الضروريين لتحمل المسؤولية............ 21
7- تعليمه طريقة إصلاح خطئه إذا أخطأ.......... 23
8- استخلافه في الأرض............... 24
الفصل الثاني: مظاهر تكريم الله عز وجل لـ"بني آدم" بعد آدم عليه السلام............ 27
أ- خلق مخلوقات الأرض لـ"بني آدم"............. 29
ب- تسخير ما في السموات وما في الأرض لـ"بني آدم"... 30
ج- إنزال الهدى من الله تعالى لـ"بني آدم"........ 33
الفصل الثالث: الأسس الكبرى للمنهج المكرم لـ"بني آدم". 41
خاتمة: في حرمان أكثر بني آدم نعمة التكريم اليوم........ 49